تقليد العزول بدوار المغلسة

مقاربة أنثروبولوجية

Al Azoul tradition in the countryside of Al-M'ghelsa, An anthropological approach

كتفي خيرة [1]

جامعة عبد الحميد مهري –قسنطينة 2–

kheira.ketfi@univ-constantine2.dz

تاريخ الوصول 2023/11/05 القبول 2023/12/27 النشر على الخط 2024/01/10
Received 05/11/2023 Accepted 27/12/2024 Published online 10/01/2024

ملخص:

يعتبر العزول أحد الممارسات المعروفة بدوار المغلسة، وهو نشاط أنثوي بامتياز تسعى النسوة من خلاله إلى تحقيق ذمةٍ ماليةٍ مستقلةٍ عن الهيمنة الذكورية السائدة في المجتمعات الريفية. فالعزول هو نوع من الاستراتيجيات التي طورتها المرأة كي تتمكن من اتخاذ قراراتها المستقلة فيما يتعلق بتحقيق رغباتها الخاصة دون تدخل خارجي، من الاهتمام بأسرتها وابتكار أساليب لتنويع مصادر الدخل التي تكفل لها الاكتفاء والرفاهية. فالمرأة في المغلسة تتخذ من تقليد العزول مصدرًا للأمن المادي والاجتماعي تعيل به أسرتها، فلا تدخر جهدًا أو معرفةً في النشاطات اليدوية وتربية الحيوانات الصغيرة للوصول إلى جمع ما يكفي من المال لاستثماره في الماشية، حيث تشتري نعجةً أو عنزةً أو الاثنين معًا وتدمجها مع قطيع الأسرة فتتكاثر ويكبر رأس مالها مما يمنحها مكانةً داخل الأسرة ويخولها لتبوء مكانة اجتماعية في اتخاذ قراراتها الخاصة.

الكلمات المفتاحية: العزول، مغلسة، امرأة ريفية، معاش ذاتي.

Abstract:

Al Azoul is one of the practices known in the Al-M'ghelsa countryside, a female-only activity through which women seek to achieve financial independence from the prevailing male dominance in rural societies. Al Azoul is a type of strategy that women have developed in order to be able to make their own decisions regarding the fulfillment of their own desires without external interference, from taking care of their families to innovating methods to diversify their income sources that guarantee them self-sufficiency and well-being. Women in Al-M'ghelsa take Al Azoul tradition as a source of material and social security to support their families. They spare no effort or knowledge in manual activities and raising small animals to reach the point of collecting enough money to invest in livestock. They buy one or two sheep or goats and integrate them with the family's herd. The animals reproduce and her capital grows, giving her a position within the family and enabling her to assume a social position in making her own decisions.

Keywords: *Al Azoul, Al-M'ghelsa, Rural Woman, Self-Sufficiency.*

[1] المؤلّف المراسل: **كتفي خيرة** البريد الإلكتروني: **kheira.ketfi@univ-constantine2.dz**

1. مقدمة:

كثيرًا ما كان الريف الجزائري مصدرًا لاهتمام الباحثين من شتى المشارب والتخصصات، ولعل مركز الجذب الذي طالما أثار فضولهم بشكلٍ خاصٍ هو تلك التحولات العميقة التي عرفها مجاله خلال قرن ونيف من الزمن، حيث بدا عالم الريف مخبرا حقيقيا –حسب التعبير البورديوزي– لتتبع التطورات السلوكية للفلاح القروي الذي عمل جاهدًا على التأقلم مع مستجدات الوضع الراهن الذي فرضه المستعمر. بعدها جاءت فترات من محاولة مجاراة تجارب زراعية، كحالة تأميم الأراضي واستيراد التجربة اليوغسلافية والمكسيكية في تسيير الكمونات الفلاحية، الأمر الذي أعطى مع مرور الزمن وصفًا للريف الجزائري فقد فيه خصوصياته القديمة إلى درجة أنه وُصِف بالكتلة الفوضوية الموروثة عن العهد الاستعماري، كما أن التقارب الشديد لمظاهر التمدن التي غمرته جعلتنا نتساءل أحيانًا: هل نحن فعلاً في وسط ريفي؟ الأمر الذي دفع بالكثيرين من المهتمين؛ وخاصة الأنثروبولوجيون منهم إلى التدقيق في بعض التفاصيل التي لا تزال تحدد وجه الريف عن غيره من مجالات العيش المعروفة جغرافيًا في وطننا كعيش الحواضر ونمط البدو في البقاء والتأقلم في الأوساط الجافة. ولعل ظاهرة العزول التي تنتشر بريف المغلسة هي أهم هذه المحددات القليلة التي لا تزال تعطي صفة البدو بالمفهوم الخلدوني ممن وصفهم بأنهم أولئك الذين يعيشون خارج أسوار المدن. فماهو تقليد العزول بدوار المغلسة وما الدور الاجتماعي والاقتصادي الذي يلعبه في حياة الفلاحين بالمنطقة؟

2. الملامح العامة لمجتمع الدراسة:

1.2. العزلة والبعد عن الوسط الحضري:

يقدم لنا دوار المغلسة عينة ممتازة للدراسة الأنثروبولوجية، حيث لا تزال السلوكيات الأولية لسكان الريف تحتفظ بطابعها القديم. فالعزلة والبعد اللذان يميزان المنطقة يشكلان عاملاً رئيسيًا في عملية البقاء في منأى عن التأثيرات الكبيرة التي ألحقتها المدن على منطق العيش في عصرنا هذا، وبالرغم من أن المغلسة لا تبعد أكثر من 7كم عن مدينة شلغوم العيد باتجاه الشمال الشرقي نحو مدينة قسنطينة وبأقل من 10كم جنوب بلدية العثمانية، إلا أن الدوار تنعدم به الطرق المعبدة التي تجعل التواصل سريعًا وسهلاً من وإلى هذه المدن النشطة، كما أن قلة الموارد المائية وندرتها تجعل الحياة صعبةً بمكان في هذه الجهة، إذ نلاحظ استمرار استعمال الوسائل التقليدية من استعمالٍ للحمير لجلب الماء خاصة في فصل الصيف.

الطريق السيار الذي يشق الدوار إلى قسمين يعطي الانطباع بأن المواصلات سلسة نحو الدوار، ولكن الواقع عكس ذلك تماما. فالطريق السيار يزيد عزلته لأنه يفصل أي حركة نحوه نظرًا للخطورة التي يمثلها على الساكنة والحيوانات معا، ولا تتم المواصلات عادة إلا بواسطة سيارات القاطنين، وهي بدورها سيارات متواضعة تعكس المستوى المعيشي للأهالي.

الجدول 1: جدول إحصائي لمشاتي ومنازل دوار المغلسة

إسم المشتة	المساحة بالهكتار	عدد المنازل	منزل تقليدي (دار عرب)	بناء ريفي مدعم
هب الواد	590.65	37	29	8
ذراع لزاز	1315.50	44	34	10
سافل مغسلة+براشد	1455.17	49	39	10
مزارة+بوفولة	215.70	63	50	13
حمادة	435.34	51	44	6
عين بن ساحلي +الحجامة	658.50	35	28	7
عين بن ساحلي	516.56	44	33	11
ذمة الفرس	1510.45	37	32	5
الواد	855.44	36	29	7
مزدورة +الكاف	1083.00	54	44	10
مزارة+بوريون+الشارف	985.20	43	34	9
المجموع	**9621.51**	**493**	**397**	**96**

المصدر: مقر المجلس الشعبي البلدي –شلغوم العيد–

يعكس الجدول الإحصائي توزيع السكنات على مجمل الأراضي المستغلة من طرف السكان في دوار المغلسة بمعدل 20هكتارا لكل بيت، أي ما يقارب 2.5 هكتار لكل فرد، مما يوحي إحصائيا بوجود فائض في الموارد الطبيعية المستغلة والكثافة السكانية الموجودة، لكن طبيعة هذه الأراضي الفيزيولوجية من ناحية تركيبة التربة والموارد المائية المتوفرة تجعل من الإنتاجية المتاحة عاجزة جدًا على تلبية حاجيات أهل الدوار، وهو ما يشجع كثيرا على النزوح نحو المدن المجاورة بحثا عن نشاطات أخرى خارج مجال الفلاحة.

2.2. التركيبة البشرية:

يتكون دوار المغلسة من تجمع لسكان تعود أنسابهم لقبيلة تلغمة (تلاغمة حاليا)[1] ذوي الأصول الشاوية العائدون لقبيلة زناتة، وقد عرفهم ابن خلدون في مقدمته أنهم رعاة الشاة، فهم "المقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجي وكمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر والشجر أو من طين والحجارة غير منجدة،

[1] Ahmed Seghiri, ***L'histoire régionale de l'Algérie à l'époque coloniale***. L'exemple de lala tribu des Telaghma, Université Mentouri, Constantine,Algérie, 2004, p.99.

إنما هو قصد الاستظلال والكن لا ما وراءه. وقد يأوون إلى الغيران والكهوف. وأما أقواتهم فيتناولون بها يسيرا بعلاج أو بغير علاج البتة إلا ما مسته النار. فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن، وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال، وهم عامة البربر والأعاجم. ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم ظعن في الأغلب لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم، فالتقلب في الأرض أصلح بهم"[1]، وقد كان هذا هو حال عرش المغلسة قبل إجبارهم على التوطن والاستقرار بعد تطبيق قوانين إجبارية التملك Sénatus-consulte، فقد كانوا على زمن العثمانيين شبه رحل يتحركون على مسافات قصيرة لا تتعدى الثلاثين كيلومترا (30كم)، يمضون صيفهم بالأراضي المكشوفة من السهول لممارسة الزراعة ويقتربون شتاء من الجبال وسفوحها سائقين مواشيهم لرعي أحراش الغابات والاحتطاب طلبا للدفء خلال فترة القر.

يتصف "المغلسية" بعصبيتهم القوية ونصرتهم بعضهم لبعض، فهم مجتمع حلقي لا يختلف الأفراد فيه كثيرا وهم يتشابهون لأنهم يشعرون بالأحاسيس نفسها ويتقاسمون القيم ذاتها، كما أنهم يؤمنون بنفس المقدس[2] الذي يجعل منهم أكثر تماسكًا، ونلمس ذلك بشكل خاص فيما إذا تعرض أحد أفراد هذا المجتمع إلى خطر ما وإذا تعلق الأمر بنزاعٍ مع قومٍ غير أفراد القبيلة فإن اللحمة تكون أكبر والعصبية أشد لنصرة الأخ أو ابن العم، وهذه عموما هي إحدى خصائص المجتمعات الحلقية التي تقوم على مبدأ (أنا ضد أخي، أنا و أخي ضد ابن عمي، أنا و أخي و ابن عمي ضد كل الآخرين).

3.2. النشاط الاقتصادي:

تشكل فلاحة الأرض النشاط الأساسي لسكان دوار المغلسة، إذ يعمل الفلاحون على زراعة مساحات شاسعة من القمح والشعير تنتظر ما تذره السماء من أمطار خلال فصلي الخريف والشتاء للحصول على مردود جيد، ولأن الأمطار كثيرا ما تكون شحيحة فإن المحاصيل تتفاوت من سنة إلى أخرى، وتنتشر بين ناس الدوار مقولة: "***الحرث دوام والصابة عوام***"، وهذا يرجع بشكل أساسي إلى موجات الجفاف الذي تعرفه منطقة شمال إفريقيا بشكل عام، فحسب مارك كوت:" إن عدم الاستقرار هو إحدى أكبر نقاط ضعف المناخ في الجزائر، وهذا يلمس جميع مقاييسه (الحرارة، مدة تساقط الثلوج ومدة هبوب رياح السيروكو) ونفس الشيء بالنسبة للهواطل الأخرى، وإن كنا نعرف إحصائيا أن تساقط الأمطار يتزايد بانتظام من الجنوب إلى الشمال فإن الإشكال يكمن تطبيقيا في شريط المناطق التي تقع بينهما. إن المناطق شبه الرطبة بها دائما نسبة من الرطوبة والصحراء جافة طوال السنة، إذن تبقى المنطقة الوسطى ترتبط أحيانا بالنطاق التلي فتكون رطبة، وأحيانا أخرى بالنطاق الصحراوي فتكون جافة، والسكان يبقون من سنة إلى أخرى تحت رحمة السماء. لقد بينت الدراسات حول تساقط الأمطار في الجزائر وجود دورات طويلة المدى وأخرى قصيرة المدى لكن التنبؤ بها يبقى مستحيلا، فقد تعرف بعض المناطق موجة من الجفاف تدوم من أربع إلى خمس سنوات متتالية"[3]، لهذه الأسباب يلجأ السكان للموالفة بين الزراعة وتربية المواشي، وتُمارس هذه الأخيرة بشكل محدود مما يعرف بالرعي المسيج، حيث لا يمكن للسكان امتلاك عدد كبير من رؤوس الماشية، الشيء الذي يؤثر على نشاطهم الأساسي. فكثيرا ما يثير ولوج الأغنام والأبقار

[1] عبد الرحمن بن خلدون، ***كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر***، دار الفكر، ،بيروت، 2003، ص. 126.

[2] Raymond Aron, ***Les étapes de la pensée sociologique***, Edition Gallimard, Paris,1967, p.312.

[3] Marc Côte**, *L'Algérie***, Média-Plus, Constantine, 2005, p.39.

إلى الحقول المجاورة النزاعات والخصومات بين أهل الدوار، وتخصص ممرات ضيقة لمرور الماشية نحو المراعي التي تبتعد عن الدوار باتجاه جبل تيكويا من جهة الجنوب أو من جهة الشرق. هذه الممرات محددة أو كما يطلق عليها بالعامية كلمة "مرسمة" ضمن خرائط تعود إلى العهد الاستعماري، وقد تبتعد إلى فترات قبل ذلك أي العهد العثماني، وقد تجاور هذه الممرات أيضا طرق "السواقة"، أي تلك الطرق التي يتخذها الراجلون قديما للتوجه نحو سوق المدينة، وغالبًا ما نجد أن هذه الطرق طمست الآن ولا يقوم الرعاة إلا باستغلال حواف قطع الأراضي التي تعرف بـ"الرّسَم" بتشديد الراء من أجل رعي مواشيهم، وهذا ما يعكس بطبيعة الحال صعوبة اكتساب المواشي في هذه المناطق.

1.3.2. المرأة الريفية في منطقة المغسلة وإنتاجية العزول:

لا تتوانى المرأة الريفية في كل المجتمعات عن الاهتمام بأسرتها وابتكار أساليب لتنويع مصادر الدخل التي تكفل لها الاكتفاء والرفاهية. والمرأة في المغلسة تتخذ من تقليد العزول مصدرا للأمن المادي والاجتماعي تعيل به أسرتها فلا تدخر جهدا أو معرفة في النشاطات اليدوية وتربية الحيوانات الصغيرة للوصول إلى جمع ما يكفي من المال لاستثماره في الماشية حيث تشتري نعجة أو عنزة أو الاثنين معا. وتدمجها مع قطيع الأسرة فتتكاثر ويكبر رأس المال ما يمنحها مكانة داخل الأسرة ويخولها لتبوء مكانة في المجتمع.

الشكل 1: المرأة الريفية في منطقة المغسلة وإنتاجية العزول

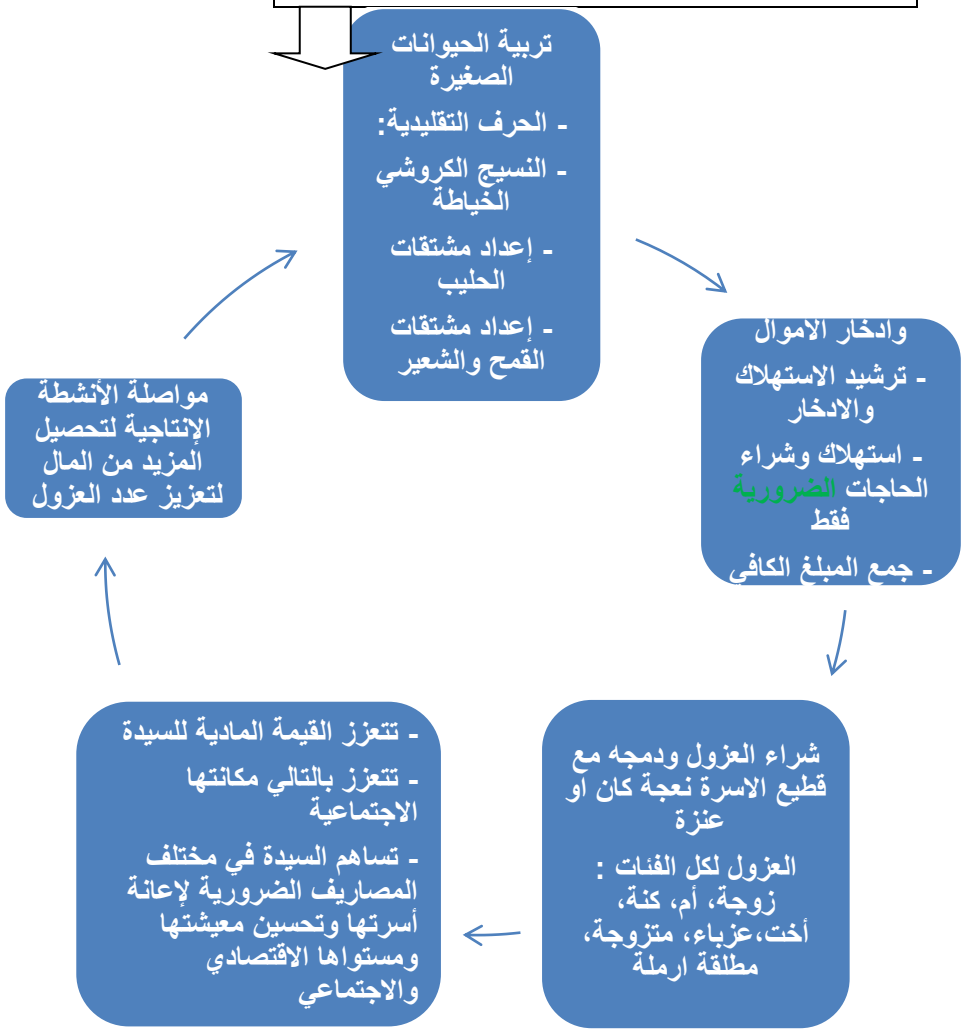

2.3.2. المعاش الذاتي:

يعرف سكان الريف الجزائري عموما بانتهاجهم طرقاً لتوفير حاجياتهم الأساسية من خلال ممارستهم لزراعة محدودة تنحصر في بستنة متنوعة تكون عادة بمحاذاة منازلهم، وذلك بغرس قليل من البصل، والطماطم، والفلفل، والبطاطا، والفول، وغيرها لتساهم بشكل فعال في سد حاجات الطهو اليومي. وهذه البستنة تقوم على شؤونها في العادة النساء اللاتي يحرصن على القيام بشؤون الغراسة والسقي، وقد نشاهد في مناطق كثيرة من الجزائر خاصة منها الجبلية (القبائل الكبرى والقبائل الصغرى) عمل المرأة اليومي والمباشر في هذا الميدان، إذ يقمن بجني الزيتون، وتحصيل المحاصيل الزراعية التي ينقلها الرجل بعد ذلك إلى المعالجة أو إلى الأسواق.
بالإضافة إلى هذا، تعمل النسوة على تربية الدجاج بأنواعه والأرانب والماعز وغيرها من الحيوانات، وتلم بمعارف ومهارات مهمة بكيفية وطرق تغذيتها وعلاجها من مختلف الأمراض التي قد تعترضها. وكل هذا يدخل في خدمة تأمين القدر الضروري من المعاش لساكني البيت.

4.2. تقسيم العمل:

يتشكل دوار المغلسة من مشاتي (جمع مشتة) قديمة كانت عبارة عن عائلات ممتدة، لكنها أصبحت اليوم أُسرًا نووية تقطن معظمها سكنات البناء الريفي الذي أقرته الدولة ضمن حل مشاكل السكن في الريف. هذه الأسر هي وحدات إنتاجية تعمل على استغلال أراضي عائلية تجزأت مع مرور الوقت إلى قطع صغيرة، ولأن مردودية النشاط الفلاحي جد محدودة يلجأ أرباب الأسر إلى العمل خارج الدوار كحراس ليليين أو أجراء لدى الخواص لتأمين "الشهرية".
يتميز تقسيم العمل عند المغلسية ببساطته ومحدوديته، إذ عادة ما يوكل للرجل أعمال القيام بشؤون الأرض من حرث وزراعة ورعي، بينما تتكفل المرأة بشؤون البيت. لذلك نجد أن الوحدات السكانية في الدوار تتشابه وتتجانس إلى حد كبير، الأمر الذي يجعل هذه المجتمعات توصف بالبساطة، وهي لا تعرف معاني تقسيم العمل الصناعي الحديث ولا تسودها إلا الحسابات التقليدية في فهم الثروة والاكتناز، كمفهوم البركة، والتكافل، والتعاون (التويزة) والتضامن في حالات الشدة والعوز.

3. "العزول" كعنصر أنثروبولوجي:

1.3. من الناحية اللغوية:

يبدو من الوهلة الأولى أن أصل كلمة العزول عربي مستمد من مصدر عزل يعزل عزلا، فهو عازل والمفعول معزول، عزل الشيء عن غيره أي نحاه جانبا ومنعه من الاتحاد مع غيره[1]. والعزول الذي يتناوله بحثنا يمضي في نفس المعنى، أي أن النشاط الذي يدر مردودا معينا الغرض منه الادخار والتملك منفصل ومخصص لصاحبته، ولا يمكن في أي حال من الأحوال المساس به ودمجه مع باقي الكسب الذي يعود للشركاء الذين يتقاسمون نفس السقف، سواء كان زوجا، ابنا، أبا، أخا، عما أو خالا. فبالرغم من سيادة الهيمنة الذكورية في مثل هذه المجتمعات إلا أن بعض الممارسات كالعزول تعطي لنا صورة مختلفة عن مطلق الاعتقاد السائد. فللمرأة في المجتمع الشاوي الحرية في الحصول على كيان مادي مستقل يحقق لها مكانتها ويعطيها حق التصرف فيما هو مخصص لها، يقول

[1] تم الإطلاع يوم 15 جوان 2023 على الساعة 12:30، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B9%D8%B2%D9%84/

الناس في هذه المناطق الناطقة باللهجة الشاوية: "***هامتوضهلايم سي هملالتهقااكازيطت وسيه اكازيطتهرني هقاهاقنونت وهرني هلايمهقااكعوزت وسيه اكعوزتهقاهيغسي وهرني هلايمهقاافوناستاتاثامتوث الفحلة سي قيتشحهتقلاباسهمتوثهقا لعزول سي قيتش دير لاباس***"، أي أن "***المرأة الفحلة لمت من عظمة دارت جاجة ومن جاجة دارت قنونه ومن قنونه دارت معزة ومن معزة دارت نعجة ومن نعجة دارت بقرة هذي هي المرأة الفحلة تبخل روحها من كلش من شوية دير بزاف***[*]".

لكن كون التسمية لها أصول عربية لا يعني بالضرورة ارتباط مصدره ونشأته بتلك القبائل الوافدة من الجزيرة العربية. ويبدو أن التأثر بعادات وتقاليد البربر قد ترك أثره البالغ في سلوكيات الأعراب، على عكس الاعتقاد السائد بأن الثقافة الدخيلة قد مسخت تلك التي سادت عند المحليين. يرى غابرييل كامبس في هذا الصدد أن: "الشواهد المادية واللامادية التي يزخر بها التراث المغاربي يستمر أثرها في الملبس والمأكل وحساب الأوقات والمعارف والمهارات والموسيقى والاحتفالات، وحتى في ممارسة بعض الطقوس والاعتقادات التي تؤكد وجود التأثير العكسي إلى درجة تبربر اللسان عند بعض القبائل العربية"[1]. وهنا تؤكد لنا الباحثة "لويزة قالاز"[2] المختصة في التراث اللامادي من المركز الوطني للدراسات في عصور ما قبل التاريخ، الإنسان والتاريخ أن كلمة العزول موجودة في التراث الأمازيغي بصيغة "ثاعزولت" أو ثاعزولتيس"، أي كل ما عزلته المرأة عن ملكية عائلة زوجها أو ملكية أبيها، وهو لا يتوقف عند الحيوانات المنزلية من دجاج وماعز أو بقر بل يتعدى إلى الحلي والملبس، كي يصبح ملكيتها الخاصة". وهنا يمكن أن نلاحظ أن ملكية الأرض لا تدخل ضمن العزول المتاح للمرأة وهذا يعود لأسباب خاصة تعود إلى عوامل تاريخية ودينية واجتماعية، حرمت المرأة من امتلاك الأرض كي تحافظ على وحدتها من جهة وعدم انتقالها إلى الغرباء في حالة الزواج الخارجي من جهة أخرى.

كتعريف إجرائي للعزول يمكن أن نقول: ***"أنه عبارة عن مجموعة منظمة ومتنوعة من المهارات والممارسات تنتهجها المرأة في ريف المغلسة؛ حيث تسعى من خلال العمل على إنشاء مصادر دخل صغيرة ومتنوعة لجمع مقدار من المال يمكنها من تحقيق استثمار صغير –العزول– يتمثل في شراء نعجة أو معزاة أو الاثنين معا إن استطاعت. يتم دمجها مع قطيع الأسرة، حيث تسهر رفقة أسرتها على تنميته وتطويره. ذلك لتحقيق أهداف تبدأ بتغطية مصاريفها الشخصية، وتغطية مصاريف الأسرة اليومية أو المناسباتية أو الطارئة، وتنتهي بتعزيز مكانتها داخل الأسرة وبتحقيق وجاهة ضمن المجتمع ككل. وكلما تكاثر العزول أو تطور زادت أهمية أدوارها في الأسرة والمجتمع وبالتالي ارتفعت مكانتها"***.

2.3. من الناحية البنائية:

طبعا تشكل الأنثروبولوجيا البنائية مدخلا مهما في فهم الظواهر الاجتماعية، ولا شك أن من بين أهم الدراسات التي سعت إلى فهم بعض البنى السلوكية للإنسان هي تلك التي قدمها كلود ليفي ستروس Lévi-Strauss Claude عن عادات الأكل

"المرأة الفحلة لمت من عظمة دارت جاجة ومن جاجة دارت قنونة ومن قنونة دارت معزة ومن معزة دارت نعجة ومن نعجة دارت بقرة هذي هي المرأة الفحلة تبخل روحها من كلش من شوية دير بزاف".هي مقولة يتداولها سكان المنطقة للتعبير عن المراةالصالحة والمسؤولة(الفحلة) التي تحسن العمل والادخار فمن بيضة(عظمة) دارت(حققت) دجاجة(جاجة) ومنها ارنب(قنونة) ثم عنزة(معزة) حتى تحصل على بقرة.

[1] Gabriel Camps, ***Comment la berbèrie est devenue le Maghreb arabe***,Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, Aix-en-Provence, 1983, pp. 7-24.

[2] مقابلة مع الباحثة لويزة قالاز بالمركز الوطني للدراسات ما قبل التاريخ، الإنسان والتاريخ يوم 20 جوان 2023م على الساعة 14:23 د.

والطهو عند قبيلة البوروورو الأمازونية في كتابة Le cru et le cuit، فلقد بيَّن كيف أن وجود سلوك معين في نفس القبيلة يخضع لعوامل طبيعية وبيئية مختلفة[1]. حاولنا من جهتنا وضع نفس الإسقاط البنيوي على عنصر العزول ليتبين لنا أنه فعلا لا ينتشر داخل كل المجتمعات الرعوية، كما يمكن أن نعتقد في بادئ الأمر، بل أن العنصر وجدناه ينحصر عند المجموعات السكانية التي تمارس الزراعة والرعي معا، بينما ينعدم تماما عند البدو الرحل الذين يمارسون رعيا لمواشيهم طوال السنة كأولاد دراج وأولاد نايل، فقط نجد شيئا مشابها يسمى "المنيحة"، وهو مخصص للذكور دون النساء، إذ يمنح للابن جزء من القطيع يستطيع أن يمتلكه وينميه مقابل خدمته في الرعي، كي يتمكن بعد ذلك في حالة زواجه الاستقلال وتأسيس بيته الخاص.

إن موضوع الملكية والتملك يمكن أن يقودنا بعيدا في تصنيف نوعية العائلة الممارسة لعادات متعلقة بانتقال الميراث والتركة خاصة عند أخذها بالمقاربة المتعلقة بأنثروبولوجيا النوع، فيمكن بسهولة ملاحظة أن ممارسة العزول قد ترتبط بآثار أو بقايا العائلة الأموسية في الجزائر، خاصة وأن المجتمع التارقي يعرف بشكل واضح مثل هذه الممارسات.

3.3. من الناحية الوظيفية:

1.3.3. المكانة الاجتماعية واتخاذ القرار:

لا شك أن للعزول وظائف كثيرة يؤديها ضمن مفاهيم كثيرة تتعلق بالتراتبية داخل الأسرة، خاصة منها تحديد مكانة المالك للعزول. فالمرأة التي استطاعت تسيير ملكيتها المتاحة وتطويرها وتنميتها ستنال مكانة مرموقة ومحضية بين أفراد العائلة، هذا ناهيك عن تدرجها في سلم اتخاذ القرار داخل البيت. يرى بيار بورديو في هذا الشأن: "أن مركز القرار داخل الأسرة الجزائرية يتعلق أساسا بالوضعية المادية للفاعل –سواء كان ذكرا أو أنثى–، فكلما امتلك الفاعل وسائل مادية مهمة تمكن من حيازة القدرة على اتخاذ القرار وفرض رأيه بين جماعته"[2]. وهذا ما يمكن ملاحظته فيما يخص الزوجة، البنت أو الأخت التي تمتلك عزولا مهما، وقد يؤول لها من خلاله أن تكون صاحبة الحل والربط في الأمر كله، ويخضع الجميع لأوامرها ونواهيها. ولا يرتبط الأمر بمجرد سيطرة مادية بل القضية تتعدى إلى كونها استطاعت تحقيق نجاح اجتماعي مرموق، ينعكس هذا النجاح بشكله الرمزي في كمية الحلي التي تضعها المرأة في الأعراس والمناسبات، حيث يمكن أن تلاحظ النسوة حضورها وسطوع نجمها فقط من خلال حسن تدبيرها مما أتيح لها من وسائل بسيطة.

وهنا يمكن أن نتساءل عن حدود ممارسة العزول وصلاحياته أمام الوجود الذكوري الذي يعمل بالضرورة على مقاومة نجاحه المفرط الذي يمكن أن يشكل تهديدا وجوديا بالنسبة له، فنلاحظ أنه هناك ممانعة تقف في وجه تطور العزول إلى حدود السيطرة، لذلك كثيرا ما نسمع عبارة الغضب والثوران في وجه الممارسات الأنثوية المبالغ فيها ففي منطقة الشاوية مثلا ينتفض الرجل قائلا: "***راح تعزلولي في داري***"، واضعا حدودا لطموح المرأة التوسعية ومنهيا بعضا من استراتيجياتها في الانفراد باتخاذ القرار مذكرا الجميع أن الدار داره، وأن المملكة مملكته.

---

[1] MarquesAntonio José da Silva, ***Un ingrédient du discours (Discours et pratiques alimentaires en Méditerranée)***, (vol. 1), Édilivre, Paris, Saint Denis, pp. 157-188.

[2] AddiLahouari, ***Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu***, Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, La découverte, Paris, 2002, p.51.

2.3.3. الاقتصاد المنزلي:

يعمل العزول على خدمة الاقتصاد المنزلي بمفهومه البسيط، فإذا كان هذا الأخير يهدف إلى جعل كل منزل مريح ومناسب من الناحية الاقتصادية وصحي من الناحية الجسمية والعقلية ومتزن من الناحية البيئية والاجتماعية، ومن ثم يعيش أفراده في جو يسوده التعاون والحب والاحترام المتبادل[1]، فإن العزول يعطي لهذا الاقتصاد روح دعم مميزة وطوق نجاة يستعمل للحالات الطارئة. فعندما يعجز الرجل في ظروف الحياة المتقلبة والصعبة على الإنفاق أو يتعرض لأزمات مالية معينة يجد بالضرورة الدعم الذي تقدمه الزوجة أو الأخت أو البنت من خلال ما حققته من ادخار من خلال تمتعها بممارسة العزول. وقد سجلنا خلال بحثنا اعتراف الرجال وامتنانهم لوجود نسوة بجانبهم يحرصن على إبقاء توازنات الاقتصاد المنزلي، ومنهم من يعمل على استرداد ديونه لزوجته في حال الرخاء وذهاب الأزمات. وهنا يمكن أن نسجل وجود أقدم شكل من أشكال الاستقلالية المادية والمعنوية للمرأة كما سجل **إيميل ماسكوراي**Emile Masqueray في كتابه Formation des cités chez les populations sédentaires del'Algérie(Kabyles du Djurdjura, Chaouia de l'Aouras, Béni Mezab)، أول أشكال الديمقراطيات التي سادت المدن الجزائرية عند القبائل والشاوية وبني ميزاب من خلال المؤسسة التي عرفتها هذه التجمعات السكنية القديمة "تاجماعت" والتي ضاهت مجالس روما في أوج قوتها وازدهارها.

4. أنواع العزول:

يمكن أن نصنف العزول حسب الكم والكيف إلى نوعين:

1.4. العزول البسيط:

هو عبارة عن نعجة أو معزاة تدمج مع قطيع رب العائلة، ويمكن أن يتكاثر ليبقى في شكله البسيط (ماشية لا يتجاوز عددها العشرة رؤوس)، ومهما زاد العدد يبقى إسمه العزول وينسب إلى صاحبته وتبقى الوحيدة صاحبة القرار في التصرف فيه، وهو–أي رب العائلة– يلتزم بمختلف التعاقدات التي تعرفها اتفاقيات الرعوية* المبرمة مع مالك القطيع تجاه الرعاة أو الشركاء، حيث تؤخذ منه كمقابل للعناية بهذا العزول، جزة صوف أو خروف واحد عن مجموعه كل ولادة جديدة، أو أجر مادي يكون الأطراف قد إتفقوا عليه مسبقا وبذلك تعوض صاحبة العزول تكاليف رعي رؤوس ماشيتها بعد كل عملية ولادة (مرتين خلال السنة)، وتحتفظ بمداخيلها التي حققتها من تكاثرها صافية.

2.4. العزول المتطور:

إذا تكاثر العزول يمكن أن تقرر صاحبته بيعه أو بيع جزء منه لاستثمار جديد يتمثل في شراء بقرة، أي بيع عدد من رؤوس الماشية لاستبدالها، وهنا يكمن معنى "متطور" حيث أن ثمن الأبقار باهظ نوعا ما بالنسبة للفلاحين البسطاء (عادة ما يقابل ثمن البقرة،

---

[1] سامية عبد القادر، ***الاقتصاد المنزلي***، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص8

* من بين أهم الأعمال التي يمكن ان توضح لنا بدقة هذه التعاقدات الرعوية تلك التي قدمها جاك برك Jacques Berque في مقاله: Aspects du contrat pastoral à Sidi Aissa أو مظاهر التعاقد الرعوي بسيدي عيسى سنة 1932، الذي صدر له بالمجلة الإفريقية يتناول دراسة عقد عمل يتم بين راع و مالك رؤوس أغنام حيث يكون التفاوض الشفوي ملزم للطرفين في تقاضي الأجرة التي تكون عادة طبيعية من خروف الشاة وصوفها كما يحدد الاتفاق التزامات الراعي الموكلة إليه طيلة تعهده بالقطيع وقد يبطل كل ذلك في حالة انسحاب الراعي من عمله قبل المدة المحددة.

ثمن خمسة إلى عشرة رؤوس من الغنم والضعف من الماعز) وشراء بقرة يعني اكتفاء غذائي للأسرة وحتى لبعض الأقارب أو الجيران المقربين، وهذا باعتبار أن الحليب ومشتقاته من الأغذية الأساسية في ريف المغلسة، فامتلاك فائض يصنع منه الجبن هو بمثابة رفاه حقيقي بالنسبة لبعض هذه الأسر، ناهيك أن العجل الذي تعطيه البقرة بعد عام يمكن أن يباع بثمن مهم يستثمر في زيادة موارد البيت وتغطية حاجياته الأساسية، بهذه الصيغة يتخذ العزول منحا متطورا عن شكله البسيط ليدلل على نوع من الثروة تكون المرأة الريفية قد حققتها.

5. خاتمة:

يشكل تقليد العزول في الريف الجزائري بشكل عام وبمنطقة المغلسة بشكل خاص أنموذجا أنثروبولوجيا على المستويين الميداني والنظري، إذ يقدم لنا بشكل مباشر نمطية تعكس الحياة الريفية. فحيثما وجد هذا التقليد أنت بلا شك خارج الوسط الحضري الذي أخذت مظاهره تطغى على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين. فتلك المقاربات القديمة التي وصمت الريف الجزائري من خشونة العيش والاكتفاء بالضروري دون الكمالي، وعلاقات القرابة، والتضامن الميكانيكي أخذت في التلاشي شيئا فشيئا، لكن ممارسة العزول بقي طابعا أصيلا تمارسه المرأة المغلسية بأبعاده السوسيو–ثقافية مما يعكس مدى تجذر طابع القوامة على ميكانيزمات العيش الذاتي والاعتماد على النفس والدور الفعال والمجدي للمرأة في القيام بشؤون بيتها والاعتناء بأسرتها بواسطة تطوير إستراتيجية تخدم مكانتها الاجتماعية من جهة وتفاوض الهيمنة الذكورية للرجل المغاربي وسيطرته بشكل ذكي ومبني.

6. قائمة المراجع:

- سامية عبد القادر، ***الاقتصاد المنزلي***، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص8
- عبد الرحمن بن خلدون، ***كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي الشأن الأكبر***، دار الفكر، ،بيروت، 2003، ص. 126.
- مقابلة مع الباحثة لويزة قالاز بالمركز الوطني للدراسات ما قبل التاريخ، الإنسان والتاريخ يوم 20 جوان 2023م على الساعة 14:23 د.

- AddiLahouari**, *Sociologie et anthropologie chez Pierre Bourdieu***, Le paradigme anthropologique kabyle et ses conséquences théoriques, La découverte, Paris, 2002, p.51.
- Ahmed Seghiri, ***L'histoire régionale de l'Algérie à l'époque coloniale***. L'exemple de lala tribu des Telaghma, Université Mentouri, Constantine,Algérie, 2004, p.99.
- Gabriel Camps, ***Comment la berbèrie est devenue le Maghreb arabe***,Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, n°35, Aix-en-Provence, 1983, pp. 7-24.
- https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%B9%D8%B2%D9%84/
- Marc Côte, **L'Algérie**, Média-Plus, Constantine, 2005, p.39.
- MarquesAntonio José da Silva, ***Un ingrédient du discours (Discours et pratiques alimentaires en Méditerranée)***, (vol. 1), Édilivre, Paris, Saint Denis, pp. 157-188.
- Raymond Aron, ***Les étapes de la pensée sociologique***, Edition Gallimard, Paris,1967, p.312.